

السيد المسيح في سفر إشعياء

وعود مفرحة ومجيدة لجميع الخطاة

الكتاب
المقدس

العهد القديم
(٢٢)



زكريا (إشعياء) مجده ونكلم عنه
(يو ١٢ : ٤١).

فتح روح الله عن أعين الأنبياء، فأرأوا ربنا يسوع المسيح قادمًا، فماذا رأى إشعياء؟
شاهد إشعياء النبي الإنجيلي نداءً رقيقًا مقدمًا لكل إنسان، يقدمه مخلص العالم كله لكي يختبر محبة الله الفائقة.
تنتفتح بصيرته ليرى السماء ترحب بالكل ليدخلوا إلى العرش،
وينعموا بالأمجاد الأبدية.

سفر إشعياء أشبه بإتجيل خامس، أو خريطة مقدمة لك شخصيًا لكي تتحول حياتك إلى رحلة ممتعة في صحبة مخلصك يحملك على منكبيه وينطلق بك إلى الأحضان الإلهية.

١. وعود شخصية مقررة لكل إنسان!
٢. (اعرف نفسك!)
٣. (اعرف مقرم الرعدة!)
٤. وعود للانطلاق نحو حياة نروسية مقررة!
٥. رحلة آمنة ومتهيلة!
٦. تكلفة الرحلة.
٧. بركات الرحلة: التمتع بحرينة الرب الجريئة.
٨. تحرير الرعدة المستمر.

١) دعوة شخصية مقدمة لكل إنسان!

رأى إشعياء النبي البشرية في ظلمة قاتمة بسبب الشر، وشاهد الطبيعة الجامدة تحزن عليها. لكن شمس البرّ يشرق بنوره، فيحول الظلمة إلى نور! إنه يدعو جميع الخطاة: "هلم نتحاجج يقول الرب، إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالودود تصير كالصوف" (إش ١: ١٨).

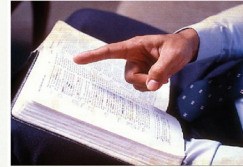
لا نعجب إن كان سفر إشعياء ينقسم إلى قسمين متكاملين يكشفان عن هذه الدعوة: **أ. القسم الأول** (ص ١ - ص ٣٩) يمثل العهد القديم، حيث يظهر الله القدوس المؤدب، لا يطيق الفساد، بل يؤدب في حزم كلاً من اليهود والأمم. وفي وسط التأديبات يقدم وعداً إلهية مفرحة، حيث يتقدم كمخلص وحيد وفريد، يقيم مملكته في كل قلب. يبدأ بشهادة الطبيعة - السماء والأرض والحيوانات - عما بلغه الإنسان من تمرد. الحيوانات بالغريزة تطيع، والإنسان بعقله يتمرد على خالقه! لؤلؤة العهد القديم الثمينة هي تحويل الأمم المقاومة لله مثل مصر إلى كنيسة مقدسة وهيكل للرب "مبارك شعبي مصر" (ص ١٩). ينتهي القسم بخراب مملكة إسرائيل ونهب خزائن الهيكل وأوانيه الثمينة (إش ٣٩).

ب. القسم الثاني (ص ٤٠ - ص ٦٦) يمثل العهد الجديد، حيث جاء المخلص يصلح المسار الشامل الذي سببه التمرد، ويقيم مملكته المفرحة، ويحوّل الأرض إلى سماء جديدة. يبدأ بتعزيات مزدوجة "عزوا، عزوا شعبي". شعب واحد قادم من اليهود والأمم. كما يبدأ بمجيء يوحنا المعمدان الذي يمهّد الطريق للملك المخلص. لؤلؤة العهد الجديد الثمينة هي المصلوب الذي يحمل خطايانا وأمراضنا في جسده (ص ٣٥). ينتهي السفر بظهور السماوات الجديدة والأرض الجديدة (إش ٦٦).

السفر كله دعوة للعالم كله، لليهود كما لكل الأمم، بل ودعوة لكل إنسان للقاء مع المخلص، والتمتع بخبرة عربون السماء وهو بعد على الأرض.

✠ ليته لا ييأس أحد من نفسه حتى وإن بلغ أقصى الشر، حتى وإن عبر إلى العادة في صنع الشر، نعم حتى وإن حمل طبيعة الشر نفسها لا يخف... عظيمة هي قوة التوبة، فإنها على الأقل تجعلنا كالثلج، نبيض كالصوف، حتى وإن كانت قد ملكت الخطية علينا وصبغت نفوسنا.

القدّيس يوحنا الذهبي الفم



٢. اعرف نفسك!

إذ يقدم السفر ربنا يسوع الطبيب السماوي، مخلص العالم، يلزم على الشعب، كما على كل إنسان أن يتعرف على نفسه أنه مريض محتاج إلى الطبيب: "اسمعي أيتها السماوات، وأصغي أيتها الأرض، لأن الرب يتكلم. رب بيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا عليّ. الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف. شعبي لا يفهم." (إش ١ : ٣) انفتحت عينا إشعيا ليرى الطبيب قادمًا. من هو هذا الطبيب؟ وأين هو عرشه؟ إنه جالس على كرسي عالٍ ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل (٦ : ١). رأى إشعيا الرب القدوس المخلص والطبيب، فما هي استجابته للرؤيا؟

١. دان نفسه قبل أن يدين الشعب، قائلاً: "ويل لي!" (٦ : ٥) لكن في رجاء مفرح بغير يأس.

٢. اعترف عن نفسه، قائلاً: "لأنني إنسان نجس الشفتين" (٦ : ٥)، لكنه آمن بالقدوس الذي يُسر بتقديسه للأنسان، فبهبه من برّه الإلهي.

٣. اعترف عن شعبه، قائلاً: "ساكن بين شعب نجس الشفتين" (٦ : ٥)، فمع حرصه على أبديته، لن يستريح ما لم يتمتع إن أمكن كل إنسان معه بعبودية الخلاص.

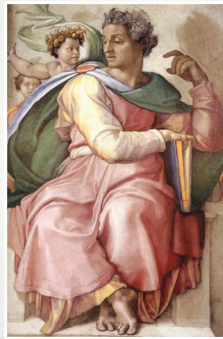
٤. تطهر من إثمه ليتهيأ للعمل الإلهي، إذ قيل له: "انترع إثمك" (٦ : ٧).

٥. تكرر قلبه وكل كيانه، فاشتتهى أن يعمل في كرم الرب: "هأنذا أرسلني" (٦ : ٨).

٦. صار سفيرًا للرب، فالدعوة للعمل هي من الله نفسه، وليس لإرضاء إنسان، إذ قيل له: "اذهب وقل..." (٦ : ٩).

ها أنتم ترون كيف أن كل القديسين بالحق يعترفون لا عن الشعب، وإنما بالأكثر عن أنفسهم إنهم خطاة، لكنهم لا ييأسوا قط من خلاصهم، إنما يتطلعون إلي التبرير الكامل بنعمة الرب ورحمته.^٢

الأب ثيوداس



٢. (اعرف مُقدم الدعوة!)

إنها دعوة موجهة من الحبيب، وكما تقول العروس: "لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورق، وبني برجاً في وسطه، ونقر فيه أيضاً معصرة. فانتظر أن يصنع عنباً، فصنع عنباً رديئاً. والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي" (إش ٥ : ١-٣).

إنها دعوة موجهة من الرب السماوي: رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السيرافيم واقفون فوقه، لكل واحد ستة أجنحة، باثنین يغطي وجهه، وباثنین يغطي رجليه، وباثنین يطير" (إش ٦ : ١-٢). رأى النبي المخلص القدوس لا يطبق الفساد، لكنه يفتح يديه لأبشع الخطاة ليحولهم إلى أبرارٍ وقديسين!

إنها دعوة موجهة من الرب المتجسد النازل إليهم: ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً، وتدعو اسمه عمانوئيل (إش ٧ : ١٤). "لأنه يولد لنا ولد، ونعطي ابناً، وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا" (إش ٧ : ٦-٧).

❖ قبل الصليب حتى اليهود لم يعرفوا (الآب)، إذ قيل: "إسرائيل لم يعرف" (إش ١ : ٣)، أما بعد الصليب فجرى العالم كله إليه.^٣

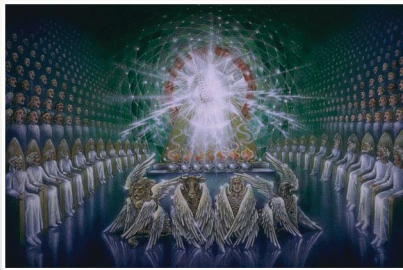
القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ في آخر الأيام عندما جاء ملء زمان الحرية قام الكلمة بغسل بنت صهيون بنفسه، إذ غسل بيديه أقدام التلاميذ (يو ٣١ : ٥).^٤

القديس إريبنؤس

❖ إننا نؤكد أن الابن وحيد الجنس قد صار إنساناً... حتى إذ يولد من امرأة حسب الجسد يعيد الجنس البشري فيه من جديد.^٥

القديس كيرلس الكبير



٤. دعوة للانطلاق نحو حياة فردوسية مقدسة!

دعوة إلهية للعودة إلى الحياة الفردوسية التي دستورها الحب: "فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل والمسمن معاً، وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبة ترعيان، تربض أولادهما معاً. والأسد كالبقر يأكل تبناً. ويلعب الرضيع على سرب الصل، ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان. لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي، لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب، كما تغطي المياه البحر. ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم، ويكون محله مجداً" (إش ١١: ٦ - ١٠). دعوة إلهية للتقديس على الأرض: وحي من جهة مصر: هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها... في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وعمود للرب عند تخمها... فيعرف الرب في مصر، ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم، ويقدمون ذبيحة وتقدمة، وينذرون للرب نذراً ويوفون به. ويضرب الرب مصر ضارباً فشافياً، فيرجعون إلى الرب، فيستجيب لهم ويشفيهم. بها يبارك رب الجنود، قائلاً: مبارك شعبي مصر، وعمل يدي أشور، وميراثي إسرائيل" (إش ١٩: ١، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٥).

✦ السحابة المتألقة التي حملت الرب يسوع إلى مصر هي أمه العذراء مريم التي فاقت السحاب نقاء وطهراً. أما المذبح الذي أُقيم للرب في وسط أرض مصر فهي الكنيسة المسيحية التي قامت على أنقاض الهياكل الوثنية على أثر تزلزل أوثانها وانهايار برايبها أمام وجه الرب يسوع^٦.

القدّيس كيرلس الكبير



رحلة آمنّة ومتهللة!

٥. رحلة آمنّة ومتهللة!

رحلتنا مع المخلص تكشف عن مملكته أنها مملكة فرح وتهليل: "أكثرت الأمة، عظمت لها الفرحة" (إش ٩: ٣). مملكته جماعة تسبيح تتغنى بصليبه: "قوتي وتسبحتي هو الرب، وقد صار لي خلاصًا!" (إش ١٢: ٣).

رحلة آمنّة ومتهللة إلى السماء: حينئذ تنفتح عيون العمى، وأذان الصم تنفتح. حينئذ يقفز الأعرج كالأيل، ويترنم لسان الأخرس. لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في الفقر... ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي، على رؤوسهم ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن والتنهّد" (إش ٣٥: ٥-٦، ١٠).

❖ من نظر في ذاته إلى ربنا، وامترجت نفسه بنوره، فليمتلئ قلبه بالفرح^٧.

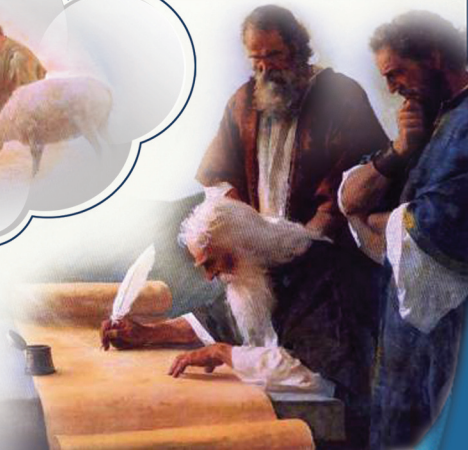
الشيخ الروحاني

❖ النفس دائماً تتربى بهذا الفرحة وتسعد به، وبه تصعد إلى السماء، فهي كالجسد لها غذاؤها الروحي^٨.

القدّيس أنطونيوس الكبير

❖ تتحقّق نبوة إشعياء ليس فقط في الأمور الجسدية بل وفي الروحيات... فالذين كانوا قبلاً عُرجًا صاروا يقفزون بقوة يسوع كالأيل. قورنوا بالأيل ليس بدون قصد، فإنه حيوان طاهر معادٍ للحيات التي لن تؤذيه بسمها. وهكذا أيضًا بالنسبة للخرس فإنهم يتكلمون^٩.

العلامة أوريجينوس



٦) تكلفة الرحلة

يتحمل السيد المسيح تكلفة الرحلة: محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتد به. لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصابًا مضروبًا من الله ومذلولًا. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحبره شفينا. كلنا كغتم ضللنا، ملنا كل واحدٍ إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا" (إش ٥٣: ٣-٦).

أبرع ما رآه النبي هو مخلص العالم، فقد صار العبد المتألم، فقدم له تسابيح تعلن مجده!

التسبحة الأولى: ٤٢: ١-٤.

التسبحة الثانية: ٤٩: ١-٦.

التسبحة الثالثة: ٥٠: ٤-٩.

التسبحة الرابعة: ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢.

❖ بأية كلمات نبارك الله، وأي شكر يمكننا أن نقدمه له؟!...

لقد أحبنا، حتى أنه وهو الكائن الأزلي، الأقدم من كل المسكونة ذاتها صار في السن أصغر من كثير من خدامه في العالم!

كان يصيح في طفولة غير متكلمة، وهو "الكلمة" الذي بدونه تعجز كل فصاحة البشر عن الكلام!

انظر يا إنسان ماذا صار الله من أجلك؟!...

مع كونك إنسانًا، أردت أن تكون إليها فضلت! ومع كونه هو الله أراد أن يكون إنسانًا لكي يرد ذاك الذي ضل!

كبرياء الإنسانية هبطت بك أسفل، لكي ما بالتواضع الإلهي وحده ترتفع إلى فوق!¹

القديس أغسطينوس



٧. بركات الرحلة: التمتع بمدينة الرب الجديدة

كما يُختم العهد الجديد بالحديث المفرح عن أورشليم العليا، هكذا يختم إشعياء النبي أحاديثه بالكشف عن مدينة الرب الجديدة (٦٠ - ٦٦).

١. **مدينة منيرة**، جذابة للأمم ومحيية (٦٠). "قومي استتيري، لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك" (٦٠ : ١)، ينطلق إليها المؤمنون كسحابٍ خفيفٍ بلا ثقل الخطية وكالحمام بجناحي الروح. "من هؤلاء الطائرون كسحاب، وكالحمام إلى بيوتها؟" (٦٠ : ٨)

٢. **عروس جميلة**: "يجددون المدن الخربة" (١٦ : ٤). سكانها يرتدون ثيابًا جديدة.

"قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البرّ، مثل عريس يتزين بعمامة، ومثل عروسٍ تتزين بحليها" (٦١ : ١٠).

٣. **لها اسم جديد**: "قُتري الأمم برّك، وكل الملوك مجدك، وتُسَمين باسمٍ جديد يعينه فم الله، وتكونين إكليل جمال بيد الرب، وتاجًا ملكيًا بكف إلهك" (٦٢ : ٣).

٤. **مؤسسها المخلص السماوي**: "لنك تشق السماوات وتزل. من حضرتك تنزلزل الجبال. كما تشعل النار الهشيم، وتجعل النار المياه تغلي، لتُعرف أعداءك اسمك، لترتعد الأمم من حضرتك" (٦٤ : ١ - ٢). إنها ليس من عمل أيدينا: "قد صرنا كلنا كنسج" (٦٤ : ٦)، بل من عمل الخالق: "يا رب أنت أبونا، نحن الطين، وأنت جابلنا، كلنا عمل يديك" (٦٤ : ٨).

٥. **سماوات جديدة وأرض جديدة**: ليس لها مثيل. إذ يقول المخلص: "لأني هأنذا خالق سماوات جديدة وأرضًا جديدة، فلا تُذكر الأولي ولا تخطر على بال... لا يُسمع بعد فيها صوت بكاء، ولا صوت صراخ. ولا يكون هناك طفل أيام، ولا شيخ لم يكمل أيامه" (٦٥ : ١٧ - ٢٠). لا يوجد فيها عدم نضوج الطفولة، ولا ضعف الشيخوخة. إنها جديدة، تضم الأمم واليهود معًا. "الذئب والحمل يريان معًا، والأسد يأكل التين كالبقر" (٦٥ : ٢٥). ليس للحية القديمة، إبليس، سلطان على سكانها القاطنين على جبل قدس الرب (٦٥ : ٢٥).

٦. **أورشليم الجديدة**: يختم السفر كله بأورشليم الجديدة عوض أورشليم الأرضية. "السماوات كرسى، والأرض موطنٌ قديمي، أين البيت الذي تبنون لي؟ وأين مكان راحتي؟" (٦٦ : ١) "افرحوا مع أورشليم (الجديدة)، وابتهجوا معها يا جميع محبيها... لكي ترضعوا وتشبعوا من ثدي تعزياتها، لكي تعصروا وتتلذذوا من درة مجدها" (٦٦ : ١١). إنها مصدر التعزية الأبدية. "كإنسان تعزية أمه، هكذا أعزيكم أنا، وفي أورشليم تعزون" (٦٦ : ١٣).



٨. تجديد الدعوة المستمرة

تجديد الدعوة المجانية لكل الشعوب: أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا... هوذا قد جعلته شارعًا للشعوب، رئيسًا وموصيًا للشعوب. ها أمة لا تعرفها تدعوها، وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدس إسرائيل، لأنه قد مجدك. اطلبوا الرب ما دام يوجد، أذعوه وهو قريب " (إش ٥٥: ١ - ٦).

❖ يُظهر "الكلمة" حنوه مع عدم محاباته للوجوه...

يحب أن يُعلم الجاهل، وأن يرد المخطئ إلى الطريق الحقيقي...
إنه لا يطرد أحدًا من خدامه كمن هو غير مستحق للأسرار الإلهية.
لا يكرم الغني أكثر من الفقير، ولا يحتقر الفقير بسبب فقره.
لا يزدري بالبربري ولا يرفض الخصى كمن هو ليس برجل (٣ - ٤).
لا يبغض الإناث بسبب عصيان المرأة في البداية (حواء)، ولا يرفض الذكور بسبب عصيان الرجل.

إنه يطلب الجميع، ويرغب في خلاص الكل، مشتاقًا أن يجعل الكل أبناء الله، داعيًا كل القديسين كرجل واحد كامل^١.

القديس هيبوليتس

شكرًا لك، يا أيها العجيب في حبك!

بحبك تفضح نفوسنا، فنتعرف على جراحاتها.

نقبلك الطبيب السماوي والدواء. تجرح بتأديباتك، وتعصب بتعزياتك.

في وسط ضيقاتنا، تحملنا على ذراعيك.

بصليبك، تبتز كل شرٍ في داخلنا، وتسكب برّك علينا.

تقيم مملكتك العجيبة في قلوبنا.

تهبنا روحك القدوس، يحول بريتنا الجافة إلى جنة.

تقيم من أجسادنا أرضًا جديدة، ومن نفوسنا سماوات جديدة!

تعال! ولتسكن فينا، إذ يطهرنا دمك الثمين!



ماذا تعرف عن إشعيا النبي؟

ماذا تعرف عن إشعيا النبي؟

❖ كلمة "إشعيا" تعني "يهوه مخلص". عاش قبل مجيء السيد المسيح بأكثر من ٧٠٠ عام، لكن الله وهبه أن يراه قادمًا، وكشف له عن شخصه وأعماله، ومملكته.

❖ تنبأ في أورشليم عاصمة يهوذا. في البداية كانت إسرائيل تتحالف مع دمشق (سوريا) ضد يهوذا، فالتجأت الأخيرة إلى آشور لإنقاذها مهما كان الثمن. فيما بعد سقطت إسرائيل تحت السبي الآشوري. وكانت آشور من وقت إلى آخر تشن حملاتها لكي تسبي يهوذا.

❖ كان من العائلة الملكية، لكنه كسائر الأنبياء كان مُبغضًا من الملك ورجال الدولة والسلطات الدينية والشعب، يكاد يكن وحيدًا، ليس من يشاركه فكره. لأنه كان ينطق بالحق الذي لا يطيقه الباطل، ويكشف عن النور الذي لا تحتمله الظلمة.

❖ تنبأ في أيام أربعة ملوك:

١. عزيا: ملك ٥٢ سنة، بدأ بمجدٍ أرضيٍ فائقٍ، وأصيب في السنوات الأربع الأخيرة بالبرص، وانتهى، بطرده من كرسيه وإقامة ابنه يوثام تحت الوصاية.
٢. يوثام: ملك مع أبيه ٧ سنوات ثم ١١ سنة وحده. عمل المستقيم في عيني الرب، لكنه لم يردع شعبه عن الفساد (٢ أي ٢: ٢٧).
٣. أحاز: ملك شرير، عصره مظلم للغاية.
٤. حزقيا: رجل صالح، لكنه ختم عصره بسقوطه في الشر.

1 In Heb. Hom 12:7.

2 St. Cassian: Conf. 23:17.

3 In John hom., p. 80-1.

4 Adv. Haer. 4:22:1

5 PG. 76:15-18.

6 Fr. T. Malaty: Introduction to the Coptic Orthodox Church, Ottawa 1088, ch 1.

٧ للمؤلف: الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر، ١٩٨١م، ص ١٣١.

٨ المرجع السابق، ص ١٣١.

9 On Matt. Book 11:18.

١٠ الحب الإلهي، ص ٣٤١-٣٤٢.

11 Treat. On Christ and Antichrist, 3.